محاضرة الأستاذ الدكتور/ أحمد المهدي عبد الحليم

بعنوان

البنائية الإسلامية في التربية والتنمية

يوم الثلاثاء الموافق ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٤

تقديم الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن النقيب

تقديم الأستاذ الدكتور عبد الرحمن النقيب/

بسم الله الرحمن الرحيم، موضوع تلك الأمسية يدور حول "البنائية الإسلامية في التربية والتنمية"، ويحاضرنا فيها الأستاذ الدكتور أحمد المهدي، وسوف يعرض علينا كيف أن العقل المسلم يستطيع أن يتعامل مع المبادئ، ومع الأيديولوجيات والأفكار الغربية ولكن من منطلق إسلامي، وهذا هو الفارق الذي يفرق بين عقل متجدد في ثقافته العربية والإسلامية، وعقل لا يملك تلك الإمكانات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ثم نجده منبهرًا أو منسلخًا في الثقافات الأخرى، وهذا بُعد أو قدرة من قدرات العقل المسلم كما ينبغي أن يكون.

ولذلك أترك المجال لأستاذنا الجليل الدكتور/ أحمد المهدي فهو غني عن كل تعريف ولعلكم تعرفونه تمامًا مثلي فليتفضل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البنائية الإسلامية في التربية والتنمية

أ.د. أحمد المهدي

مهاد:

بسم الله نستفتح، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه ورسله، وأود أن أشكر الإخوة الأعزاء القائمين على أعمال المركز: الدكتور رفعت العوضي، والدكتور عبد الرحمن النقيب والأخ الأستاذ خالد عبد المنعم حسن ظنهم، وفضل ثقتهم في دعوتي للمشاركة في الموسم الثقافي الذي ينظمه المركز لعام ٢٠٠٣- ٢٠٠٤م متعاوناً مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

وقد اخترنا عنواناً لموضوع لقائنا الليلة هو "**البنائية الإسلامية في التربية والتنمية**" وأحسب أن السياقات الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي تكتنف الأمة العربية اليوم، وبعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ سياقات تجعل من الحتم أن نعيد النظر فيما يدعونا إليه الآخرون لنرى مدى موافقته لثقافتنا، وأن نبذل جهودًا مقصودة في تأمل هويَّة الأمة العربية الإسلامية؛ كي نستبين طبيعة التحديات العديدة التي تواجهنا في مجالات الحياة المختلفة، ونسعى لمواجهتها ونحن واعون بطبيعة ثقافتنا العربية الإسلامية، وبطبيعة ما لدى الأغيار الذين نقاسمهم ويقاسموننا الحياة ، في عصر تتسارع فيه موجات التقدم المعرفي بدرجة لم يسبق لها مثيل، ويواكبها تقدم علمي وتقني وتواصلي بين المجتمعات والثقافات نرى له تجليات بارزة، وآثارًا ملحوظة، في منطقتنا بوجه خاص، وفي أنحاء العالم كله بوجه عام.

ويمكن أن نجمل التحديات التي تواجه أمتنا في القول إن جوهر هذه التحديات هو محاولة القوى الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية فرض النموذج الثقافي الغربي على كل المجتمعات بوصف أنه النموذج الأمثل الذي انتهى إليه التطور البشري، وبوصف أن هيمنة أمريكا السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية تمثل نهاية التاريخ البشري، وأن نموذج الحياة الغربي هو الفردوس الموعود الذي ينبغي أن يتفيأ ظلاله كل الناس في كل المجتمعات، طوعًا إن أرادوا، وقسرًا إن أبوا، وقتلاً وتدميرًا إن عصوا، وشواهد هذه الحال ماثلة في فلسطين، حيث اغتيل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخيرًا الشيخ "أحمد ياسين" و"الدكتور الرنتيسي"، وفي أفغانستان، وأخيرًا في العراق، وفي التهديد العلني لسوريا ولبنان وإيران، وفي المبادرات التي توجهها أمريكا إلى الدول العربية، أو ما يسمونه "الشرق الأوسط الكبير" مستهدفة تغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية في الوطن العربي بصورة تحقق غايات "العولمة" التي هي في حقيقتها مركب شرير يحاول أن تتناغم مفرداته وقوامه "الأمركة" و"الأوربة" و"الأسرلة" وكلهن أبناء علات، أمهاتهن ضرائر شتى؛ يختلفن أحيانًا، ثم لا يلبثن أن يجتمعن على كلمة الأب الواحد "النموذج الثقافي الغربي".

وأحسب أن آخر الحصون التي يجب أن يتحصن بها وفيها العرب والمسلمون هو "الحصن الثقافي" بعد ما بدا من تسيب وهشاشة وتفكك في الحصون السياسية والاقتصادية والتنظيمية والدبلوماسية... والتحصين الثقافي للأمة لا يعني "التقوقع الثقافي" أو محاربة الثقافات الأخرى، أو "النرجسية" الثقافية العنصرية، التي تمارس في بعض الثقافات؛ كما أنه لا يعني –في الوقت ذاته- الانبهار بثقافة الآخر، أو الذوبان فيها؛ وإنما يعني وعيًا عقلانيًا بثقافة الأمة، وثقافة الآخر؛ فليس كل ما في ثقافتنا خيِّر ونقي، وليس كل ما يأتي من الغرب شر مستطير يجب أن نتوقاه ونرفضه.

إن الوعي الثقافي الحقيقي يفرض علينا أن نرسخ في نفوس النخب الثقافية أولاً، وفي جماهير الأمة ثانيًا "التفكير العقلاني الناقد" للذات، وللجماعة، وللأمة، وللثقافة، وللآخر وثقافته، ولأساليب الحوار والتعامل معه. وحديثنا الليلة يقع في إطار مثل هذه "المثاقفة".

واخترت أن أتحدث فيه عن "البنائية الإسلامية في التربية والتنمية" وأستأذن في أن أبدأ بالحديث عن البنائية الغربية كما تتجلى في الكتابات الغربية الراهنة، ثم انتقل إلى البنائية الإسلامية، وهي أسبق في وجودها من البنائية الغربية. وهي في جذورها، ومضامينها وتطبيقاتها، مغايرة للبنائية الغربية، والتغاير يعني الاختلاف في بعض الجوانب، والتشابه في جوانب أخرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البنائية الغربية:

"البنائية" نظرية إنسانية اجتماعية، كثر الحديث عنها، وتزايدت الكتابات حول ماهيتها وتطبيقاتها في العقدين الأخيرين في القرن العشرين. واللفظة الدالة عليها في اللغة الإنجليزية هي: **Constructivism** مصدر صناعي، أخذ من كلمة **Construction** وتعني البناء والتشييد، الذي يضطلع به المهندسون في مجالات الحياة المختلفة في الصناعات والمهن المختلفة. ويختلط المصطلح في مقابله العربي "بنائية" بمصطلح آخر هو "البنيوية" ومقابلها في الإنجليزية كلمة **Structuralism** ويختلف المصطلحان اختلافات جذرية في المبنى وفي المعنى.

وتختلف ماهية النظرية الاجتماعية عن ماهية نظرياتها في العلوم "الفزيقية"، وخاصة فيزيقيا الجوامد، إذ تتصف النظرية الاجتماعية بالهشاشة والانفتاح، بينما تتصف النظرية في العلوم الفزيقية بالصلابة والانغلاق النسبيين؛ ومغزى الهشاشة في النظرية الاجتماعية هو أن مكونات النظرية لا ترتبط بعلاقات وثيقة صلبة على نحو ما هو ماثل في فيزيقيا الجوامد؛ حيث العلاقات والتفاعلات بين مكونات النظرية يمكن أن تلاحظ بطرق مباشرة، أو يستعان في ملاحظتها ببعض الأجهزة، ويمكن أن توضع معايير لمظاهر التأثير والتأثر بين مكونات النظرية، تؤدي إلى إمكان قياسها كميًا، وهذا ليس متاحًا في النظرية الاجتماعية؛ بسبب طبيعة الموضوعات والظواهر والكيانات التي تحاول النظرية الاجتماعية وصفها وتحليلها، ورصد وظائفها، وتقييم عوائد تفعيلها.

ومغزى "الانفتاح" الذي توسم به النظرية الاجتماعية يتجلى في أنه يمكن الوقوع عليها في أزمان مختلفة، وفي أماكن متباعدة، ويضطلع بجهد تأصيل النظرية أناس مختلفون، بصورة مستقلة؛ دون تواصل بينهم. ومن مظاهر الانفتاح في النظرية الاجتماعية الإنسانية قابليتها للتوظيف في مجالات معرفية متعددة؛ فالنظرية البنائية –موضوع حديثنا- لها تضمينات وتطبيقات في عديد من مجالات "العلم الاجتماعي"؛ كالسياسة، وعلم النفس في شعبه المختلفة، وخاصة علم النفس العرفاني **Cognitive Psychology**، والأنثربولوجي، وفلسفة العلم، والبحوث الأمبريقية في التعليم بعامة، وبخاصة تعلم اللغات، والعلوم الرياضية. والنظرية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السلوكية في علم النفس لها تطبيقات في التعليم وفي الإدارة وفي الصناعة وفي سياسات الحكم.

مناطات التأكيد في البنائية الغربية:

وقد دلتني قراءة عينة مما كتب عنها في الكتابات التربوية أنها تؤكد على المعرفة المنظمة **Knowledge** الماثلة في نظم المعرفة المختلفة **Displines**. وهي النظم التي درجنا على تقسيمها إلى علوم فيزيقية، وأخرى إنسانية اجتماعية.

ويمكن إيجاز مناطات تأكيد النظرية البنائية الغربية فيما يلي:

١. إن المعارف المنظمة التي تراكمت ولا تزال تتراكم بدرجة سريعة، عبر الأحقاب، وفي مجالات المعرفة المتعددة قد صيغت وفقًا لمقتضيات وقيود كثيرة من أبرزها:

سياسات الحكم، والأيدلوجيات السائدة في المجتمع، والقيم الدينية والخلقية التي يؤمن بها من تصدوا لصنع المعارف وتوليدها. والنزوع إلى فرض السيطرة والقوة على الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والحرص على صيانة المصالح الاقتصادية الذاتية لمن صاغوا المعرفة والحفاظ على مكانتهم الاجتماعية.

وجوهر ما قيل في هذا الصدد ينفي أن يكون تشكيل المعارف البشرية –أيًا كان مجالها- قد خضع لفكر موضوعي صارم، مبرأ من أثر القبليات العرفانية **Metacognition** لصناع هذه المعارف أو لمن صاغوها، وهذا يعني أن هذه المعارف محملة بكثير من آثار المتغيرات التي أشرت إليها في الفقرة السابقة.

ويتكامل مع ما سبق ويكمله مقولة تتبناها النظرية في وجهيها (الفردي والاجتماعي)، ومغزى هذه المقولة هو أن "المعارف البشرية" ليست انعكاسًا موضوعيًا لوقائع الوجود الطبيعي أو الإنساني –الفردي والاجتماعي- وإنما هي (المعارف) ممثلات رمزية **Sympolie Representation** (لغة، ورقمًا، ورسمًا، ومعادلات، وتشكيلاً، وحركة) للتصورات الذهنية التي تعكسها الوقائع الخارجية في عقول من يولدون هذه المعارف؛ فهي إذن تركيبات ذهنية **Human Constructs** تظل –دائمًا- عرضة للتنوع، قابلة للنقد، ومعرضة للنقض، إذ أن كل عارف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(عالم) من صائغي المعرفة يرى الواقع من خلال عدسات عقله هو؛ وعدسات العقول صنو عدسات العيون؛ محدبة، ومقعرة، ومستوية، أي أنها رمز تأشيري للواقع، وليست انعكاسًا لبنية الواقع، وحركة مفرداته وتفاعلاتها.

وهذه المقولة تنكر بوضوح "الوضعية المنطقية **Logical Positivism**" التي نشأت في فيينا بالنمسا في عشرينات القرن العشرين مستندة إلى مقولة إن وظيفة الفلسفة هي تحليل منطق لغة العلم، بافتراض –خاطئ- مغزاه أن الواقع المحس هو المصدر الوحيد للمعرفة البشرية، وأن البحث فيما قبل الطبيعة **Metaphics** وما بعدها جهد ضائع؛ لأنه لا يمكن التحقق من وجوده بالتجربة الحسية؛ التي يمكن أن تتخذ دليلاً على مدى مطابقة المعارف في مجال الميتافيزيقا للواقع الحقيقي.

وإنكار "البنائية" للوضعية المنطقية ينسحب –أيضًا- على إنكار أبرز إفرازاتها، وأعني به مقولة إن للبحث العلمي الذي من شأنه توليد المعارف وإجادة توظيفها منهجًا واحدًا في مجالات الحياة كافة؛ وهو ما يطلق عليه المنهج "التحليلي الأمبريقي التجريبي". أي أن المنهج الذي يجب أن يطبق في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية مثلما هو مطبق في فزيقيا الجوامد –والأحياء أحيانًا- ومغزى هذا هو أن "العلم" مزيته الوحيدة هي: المنهج الذي يتبع في توليد المعارف وفي توظيفها؛ دون نظر إلى الموضوع؛ إذ يستوي في نظر الوضعية المنطقية أن يكون المبحوث بشرًا أو شجرًا أو حجرًا، هذا ما قاله أستاذنا الجليل الدكتور زكي نجيب محمود يرحمه الله، ثم بدا من كتاباته الأخيرة أنه عزف عنه.

تنكر النظرية البنائية -أيضًا- ما يقال عن الموضوعية الصلبة **Solid Objectivity** في البحوث الإنسانية والاجتماعية، وفي الفنون. كما تنفي البنائية –أيضًا- ما يقال عن الحتمية العلمية **Sientific Detomanism** التي ظلت إحدى بديهيات العلم التجريبي منذ عصور النهضة الأوربية حتى خمسينيات القرن العشرين تقريبًا، ويستبدل أنصار البنائية بالموضوعية المحضة الخالصة (**Solid Objectivity**) "مصطلح الموضوعية الذاتية" أو "الذاتية المتعددة من المختصين" **Objectivity** في مجال البحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويستبدلون بالحتمية العلمية النسبية أو حساب الاحتمالات(*) في توليد المعارف البشرية.

٢. يهتم أنصار النظرية البنائية بعملية تعليم المعارف للصغار وللكبار، وقرينة هذا الاهتمام ماثلة في وصف البنائية بأربعة صفات لكل منها مغزاه؛ إذ توصف بأنها فردية **Individual**، وبأنها اجتماعية **Social** وبأنها نفسية **Psychological** وأنها راديكالية **Radical** أي جذرية أصولية؛ تتطلب تغيرًا أساسيًا في أساليب التعليم؛ إذ يقال: إن المتعلين –صغارًا كانوا أو كبارًا- يبنون المعاني والمفاهيم عن الذوات والأشياء والأحداث والموضوعات بطريقة ذاتية داخلية نشطة، وأن بنائهم للمعاني والمفاهيم لا يتم إلا إذا استثيرت قواهم العقلية الكامنة، واستدعيت قبلياتهم العرفانية، وتم ترشيدها ذاتيًا؛ وذلك من خلال تفاعل عقلي يقوم به المتعلم بذاته ولذاته. ويضيفون قولهم: إن المعارف البشرية جميعها تصنع ولا تكسب، وأنها تبني داخل الفرد ولا تفرض عليه من خارجه. واقرأ معي قول أحد أعلامهم.

"لقد وصلنا إلى التحقق من أن الفَهم Understanding أمرٌ يتصل بالملائمة أو اللياقة Fitness أكثر من اتصاله بالتكافؤ أو التناظر بين (مرسل المعرفة ومتلقيها)، وبعبارة أبسط نقول: عن فهم ما قاله أو كتبه واحد من الناس يعني شيئًا واحدًا –دون زيادة أو نقصان-؛ هو أنك استطعت أن تنشئ بنية ذهنية لما سمعت أو قرأت، وأن هذه البنية –في السياق الذي تشكلت في كنفه- تبدو وكأنها موازية للبنية التي كانت متصورة ذهنيًا لدى المتحدث أو الكاتب. وهذه المقارنة أو الموازنة بين البنية الذهنية للمرسل والمتلقي لا تجلِّي ذاتها إلا في الطريقة التي يعبر بها المتلقي (البنية السطحية للغة) والتي لا تتناقض تناقضًا تامًا مع توقعات المتحدث أو الكاتب" (*).

---

* من خير ما كتب في هذا الصدد ما سطرته د. يمنى طريف الخولي في كتابها: فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

* Glassessfeld E.V "Cognition, Construction of Knowledge and Teaching" Synthes 80 (1989) P. 126.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا، ويقال في هذا الصدد: إن تطابق التعبير اللفظي في المفردات والجمل والتراكيب لدى فردين عن موقف واحد اشتراكا في الانغماس فيه، أو تلقيا معارف جديدة عنه –لا يعني تطابق المعاني والمفاهيم والأحاسيس والتوجيهات الكافية في "البنية العميقة" لدى كل منهما، والتي تعبر عنها "البنية السطحية للغة" التي بدت متطابقة.

٣. ترفض النظرية البنائية الغربية اتخاذ "النظرية السلوكية" Behaviorism مدخلاً وحيدًا للتربية والتعليم، أو طريقة وحيدة للتربية الاجتماعية، ويؤكد أنصار البنائية أن النظرية السلوكية تمثل تصورات خاطئة للوظائف العقلية الداخلية، التي يجب أن تستثيرها، وتزيد في فاعليتها أحداث التدريس التي يقوم بها المعلمون ومن في مقامهم كي تنتج تعلمًا، إذ إن التعليم هو الهدف الأسمى الذي يجب أن تؤكده عمليات التعليم في الأسرة، وفي المدرسة، وفي أجهزة الإعلام، وفي منتديات الشباب.

ومن أمثلة الأخطاء التي ترتكب في التعليم الذي يعتمد فيه –بصفة كلية- على "النظرية السلوكية" سوء تقدير الدوافع الداخلية للمتعلمين، وتعظيم الدوافع الخارجية وتعزيزها سواء أكان هذا التعظيم والتعزيز مثوبة أو عقابًا.

ومن أبرز الأخطاء التي تنشأ عن تشديد "النظرية السلوكية" في التعليم قَصْرُ تقويم المتعلمين على سلوكياتهم إلى ما يمكن ملاحظتها وتكميمها في أرقام أو درجات، وإهمال ما عاداه، بحجة أنه لا يمكن قياسه أو استنتاجه بطريقة مباشرة، كذلك الاعتماد على اختبارات التحصيل والتذكر أكثر من الاعتماد على اختبارات التأمل والتفكير.

قدمت فيما مضى أبرز ما تؤكده النظرية البنائية في الفكر الغربي الحديث فقلت إنها نظرية اجتماعية، توظف مقولاتها في ميادين متنوعة، وأنها تمثل تطورًا محمودًا في الفكر الغربي؛ لأنها معنية بالمعرفة البشرية التي تمثل في الفكر المعاصر مصدرًا ثريًا لتنمية الثروة البشرية والثروة المادية، وكلاهما ضروري لإطراد العمران والتقدم، النظرية البنائية معنية –أيضًا- بالإنسان، وداعيةٌ إلى تأكيد بنياتها، وتوظيفها أفضل توظيف إذا ربىَّ في كنف سياقات سياسية واجتماعية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثقافية وتعليمية تتيح للإنسان أن يتعلم تعلمًا مقصودًا أو عارضًا يمكنه من أداء وظيفة عمران الأرض التي استخلفه خالقة جل علاه –في إعمارها.

فجوات في البنائية الغربية:

وأحسب أن "البنائية الغربية" على النحو الذي عرضته هنا تعاني من فجوات نظرية وتطبيقية يمكن أن أوجزها في الكلمات القصيرة التالية:

- التركيز فيها على المعارف البشرية التي تتصل بالعالم المشهود، عالم المعارف في الكون الوجودي المنظور المحسوس الماثل في آيات الله في الكون وفي الأنفس، واكتُفي فيها بنقد "الوضعية المنطقية" في اعتبارها أن البحث فيما قبل الطبيعة وما بعدها جهد ضائع، دون أن تحدد موقفًا من المعارف الإيمانية التي جاءت بها الأديان السماوية متصلة بعالم الغيب؛ وهي معارف ذات أثر بالغ في تكوين المعارف البشرية الوجودية.
- واضح في العرض الذي قدمته أن أنصار البنائية الغربية يرون أن المعارف البشرية تبني من خلال إعمال الإنسان لقدراته الذهنية. وسكتت النظرية "البنائية الغربية" عن المعارف التي جاءت بها الأديان السماوية والتي تمثل جزءًا حيويًا في ثقافة البشر في سائر المجتمعات: ما طبيعتها؟ وكيف توظف في دنيا الناس؟ وما دورها في مجموعات حياتهم؟ وقد يكون هذا الصمت مقبولاً في الثقافة الغربية التي أسيء في تاريخها استخدام المعارف الدينية؛ بصورة أدت إلى اعتبار الفكر الديني مدعاة للتخلف، ومن ثم ضرورة التحرر من إسار الدين.

وُوُسِم عصرٌ في التاريخ الأوروبي بأنه عصر النهضة أو التنبؤ، والنهضة تعبر عن النهوض، وسادت في عصر النهضة الأوروبية تلك –ولا تزال- مقولات منها "فصل الدين عن الدولة" دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر، ولا سياسة في الدين ولا دين في السياسة ونحو ذلك.

- يحتد الجدل في البنائية الغربية بين معسكرين أحدهما يَسِمُها بأنها بنائية فردية **Indinidualism** قوامها فكر ليبرالي مطلق، يمجد حرية الفرد وحقه في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستمتاع بالحياة، دون قيود، وبلا حدود. ويرى رواد المعسكر الثاني أنها بنائية اجتماعية **Soclialism** تقيدها ضوابط جمعية ومجتمعية. وهذه القسمة ناشئة في الفكر الغربي من الإيمان بجدوى التفكير ثنائي القطب "إما أو.." وتبدو تجلياته في مثل وضع العقل قطبًا مناقضًا مقابلاً للوحي الإلهي، وفصل الدين عن الدولة، وجعل الموضوعية قطبًا مقابلاً للذاتية، ورؤية البنية البدنية للإنسان على أنها قطب مقابل لروحه أو عقله، ونحو ذلك وتتمايز البنائية في المنظور الإسلامي بأنها وسطية عادلة؛ لا تنحاز إلى أحد القطبين في أي من الأمثلة السابقة.

وأستطيع أن أقرر أن البنائية الإسلامية **Islamic Constructivism** تمثل نظامًا معرفيًا يتمايز عن النظام المعرفي الغربي، ومطلوب في شرعة الإسلام أن تتعارف الثقافات ولا تتناكر، وأن يكون التعارف الثقافي وسيلة للتآلف الإنساني وليس أداة للإقصاء والتدابر بين الثقافات على نحو ما تحاوله الهيمنة الغربية في عولمة ثقافتهم. فلننظر سويًا فيما سميته البنائية الإسلامية لنرى الفروق بينها وبين الثقافة الغربية، ولتؤكد ما بدأ بأن في وصف النظرية الاجتماعية بالهشاشة والانفتاح.

البنائية الإسلامية في التربية وفي التنمية:

يتألف النظام المعرفي الإسلامي من مقولات ومفاهيم وقضايا جاءت بها نصوص القرآن الكريم، الذي أوحي به خالق الكون –عز وجل- إلى الرسول الذي اختتمت به رسالات السماء، محمد **r** وطلب منه أن يبلغها إلى الناس أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**}** [1].

وجاء القرآن بلسان عربي مبين، ليخرج من يشاء أن يخرج من جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ظلم قوى الطغيان إلى حجة الديان التي جاء بها الإسلام

[1] المائدة: ٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ...} [1].

وتمثل نصوص القرآن ثورة في المفاهيم والأفكار أحدثت في الوعي العربي تغيرات شتى، فأخرجت العقل العربي من فكر الفردية، والعصبية القبلية، والمنازعات الداخلية على الكلأ والماء، إلى فكر يبني الفرد، يشكل الجماعة ويبني الأمة، إذ أنه يتسم بالخيرية والوسطية، ويدعو إلى العدل والمساواة، والأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، والنهي عن التظالم والتغابن، والحض على التعارف والتآلف والتعاون والأخوة؛ ليفرغ الإنسان لحمل مقتضيات الأمانة في إعمال الأرض، ومستفيدًا مما سخره الله للإنسان، بوصفه سيدًا في الكون، مستخلفًا عن سيد الكون: خالقه، والقيوم على نشأته، وسيرورته وصيرورته {اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}[2].

وليس من المغالاة القول إن المعرفة نظام إسلامي يستند إلى خصائص التصور الإسلامي للكون وللحياة وللإنسان ودوره في الحياة والمعرفة، والعلم، والتعليم، والتعلم، والبحث في مجالات المعرفة المختلفة. ويمكن نسجها في نسق تتناغم مفرداته على النحو التالي:

المعرفة والعلم:

الجذر اللغوي الثلاثي لكلمة المعرفة، هو عرِف بمعنى عَلِمَ. ومصدره عرفان ومعرفة، والعارف هو العليم والعالم، وتعرفتُ الشيء، يعني أنك تطلبت المعرفة وبذلت جهدًا حتى عرفتَ، والمعروف ضد المنكر، والأعراف كل عالٍ مرتفع بارز.

[1] الأعراف: ١٥٧.

[2] إبراهيم: ٣٢- ٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما العلم فنقيض الجهل، وعلمتُ الشيء أعلمه علمًا عرفتُه، وعلم الأمرَ وتعلَّمه: أتقنه، وعلم الرجُلَ: خبَره. وتقول عَلِم وفَقِه بمعنى تعلَّم وتفقه [1]. وثمة تفرقة بين المعنى اللغوي للعلم وللمعرفة إذ يقال:

إن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله وأن المعرفة –في الغالب- تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه –تذكره- قبل عرفه- وقيل إن المعرفة هي علم العين الشيء مفصلاً، ومتمايزًا عما سواه بخلاف العلم فإنه يتعلق بالشيء مجملاً[2].

تلك هي المعاني اللغوية المعجمية وهي غير كافية في الدلالات؛ ويجب أن تستكمل وتتكامل بدلالات السياقات، والمواقف، ومقتضى الحال، وغاية المقام. ويمكن القول إن المعرفة تقع في مستويات تتصاعد من معرفة الحقائق المفردة، إلى المفاهيم، إلى القواعد والمبادئ القابلة للتعميم على حالات فردية، إلى القوانين، وأخيرًا النظريات. ثم الحكمة **Wisdom** وهي عملية استيعاب لمعارف متاحة لتتولد عنها معارف جديدة تكون أكثر نفعًا في سد حاجات البشر[3].

موضوعات العلم والمعرفة:

وتقع المعرفة في المنظور الإسلامي في ثلاثة عوالم: عالم الغيب ويشمل الأمور التي لا قدرة للكينونة البشرية على إدراكها. ومن هذه الأمور الذات الإلهية، وصفات الخالق جل جلاله، وطبيعة الروح، ومتى تقوم الساعة. أو متى يموت آحاد الناس وأين يموتون. ومصدر المعرفة بأمور عالم الغيب هو الوحي الإلهي، ... الذات الإلهية يكفي أن نعرف عنه ما جاء في القرآن الكريم. إنه واحد أحد، فرد صمد، ليس كمثله شيء، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، أما الروح فهي من أمر الخالق، وما أوتي الناس من العلم إلا قليلاً. وأما الساعة فعلمها عند رب الكون وعالم الشهادة يضم كل ما يقع عليه البصر وكل ما يتأتى

[1] ابن منظور، لسان العرب مادة عرف وما عَلِم.

[2] يوسف القرضاوي نقلاً عن الزبيدي في كتابه تاج العروس مادة "علم".

[3] نبيل علي "اقتصاد المعرفة" مجلة وجهات نظر عدد ٢٠٠٤م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسان أن يدركه بالحواس أو بأجهزة يقين على إدراكه حسيًا ثم محاولة تصوره عقليًا والتفكير فيه لاستيعاب المعارف المتاحة في مجال ظواهر وكيانات العالم المشهود وتستوي في ذلك المجالات الفيزيقية والحيوية والإنسانية –فردية وجماعية- ثم مجال علوم الأداء (زراعة، وهندسة، وصيدلة، وتقنيات، وإدارة، وتربية وتعليم، ووسائل اتصال جماهيري).

والتصور الإسلامي يدعو الناس بشدة إلى البحث في كل شئون هذا العالم المشهود، ويدع أمره للعقل البشري مع ضرورة تجنب الفساد والإفساد للأشياء والظواهر والأحياء **(**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**)** [1].

والمعرفة البشرية –فيما يخص العالم المشهود معرفة لا تتسم بالوحدانية، أو الكمال أو الحسم أو القطع، وإنما هي إدراك نسبي ويخضع لاحتمالات يمكن حسابها، ولكنه ليس علمًا كاملاً فالعلم الكامل للخالق عز وجل **(**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)** [2].

أما البشر فهم مخاطبون بقوله تعالى: **(** وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**)** [3].

ومن حق كل إنسان أن يحصل على المعارف الضرورية التي تخص العالم المشهود بالقدر الذي يمكنه من أداء واجباته في الحفاظ على نفسه، ودينه وعقله، وماله وعرضه في مواقع الحياة المختلفة وما يمكن من الإسهام في تحقيق صوالح الجماعة والأمة.

والعالم الثالث هو العالم الثقافي عالم يصنعه البشر لأنفسهم من خلال تفاعلهم مع عالم الغيب وعالم الشهادة. وعالم الثقافة في كل أمة ينشأ من سعي أبناء هذه الأمة بسبل مختلفة كي يحققوا لأنفسهم وجودًا يتجاوز مجرد الوجود العضوي، الماثل في مخلوقات الله الحية الأخرى، عالم يضيفه البشر من خلال تفاعل وتعامل

---

[1] سورة الرحمن: ٣٣.

[2] سورة لزخرف: ٨٤- ٨٥.

[3] سورة الإسراء: ٨٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دائمين، وقوامه معتقدات وافتراضات ومدركات ومعـــان وقـــيم يؤمنـــون بهـــا، ويفرضونها على حياتهم لتكون مرشدًا وموجهًا لهذه الحياة.

والعالم الثقافي للأمة ليس مجرد شيء ينتمي إليه، وإنما هو تصميم للحيـــاة، مستقر في عقول أبناء الأمة يدفعهم إلى العمل والكفاح والتضحية، والصبر علـــى المكاره والجهاد في سبيل تحقيق هذا التصميم عبر أجيال الأمة المتعاقبة.

ومن مكونات العالم الثقافي لكل أمة النشاط المعرفي السائد، وطرائق التفكير الشائعة لديهم في توظيف المعارف المتاحة، وفي توليد معارف جديدة ومتجددة.

هذا بالإضافة إلى أكوان الإبداع الجمالي والفني التي تعززها ثقافـــة الأمـــة وتؤثرها جماهيرها الواسعة على ما عاداها في الاستماع... وكلهـــا مـــن صـــنع الإنسان بما أودعه فيه خالقه من قابليات للإبداع والاختراع واستشراف المستقبل.

ولا يحسبن أحد أن ثمة فواصل بين العوالم الثلاثة التي قدمناها هنا، لأن ثمة خطوط مشتركة بينها، وإيرادها على هذا النحو الذي ذكرت أريد به تميز طبيعـــة المعارف، وطبيعة العرفان ومصادره في كل عالم من العوالم الثلاثة...

وأود في هذا المقام أن أؤكد على أن المعارف المنتجة ليست قاصرة علـــى المعارف الصريحة المعلنة والمسطورة في الكتب والتسجيلات العلميـــة... هنـــاك نوع هام من المعرفة، يطلـــق عليـــه مـــصطلح "المعرفـــة الشخـــصية **Personal Knowledge**" بتعبير أحد فلاسفة العلم الإنجليـــز مايكـــل بـــولاني **M. Polanyi** أو المعرفة الخفية **Tacit Knowledge** ويقصد بها "المعارف الذاتية" لدى بعض الأفراد، التي تجعلهم أكثر كفاءة في الأداء. ويحضرني مثال قرأت عنه منذ مدة طويلـــة، يتصل بالمعارف الكامنة لدى بعض مكفوفي البصر حين يستخدم الواحـــد مـــنهم أحاسيس يتلقاها من العصا التي يحملها ويستخدمها في أثاثات البيئة التي يتحـــرك فيها، ويعتمد عليها في توقي الأخطار.

ومثل هذه المعارف موجود لدى بعض الحرفيين الذين ينجحـــون فـــي أداء أعمال تحتاج إلى مهارات لم يسبق لهم استيعاب المعارف المنظمة التي تستند إليها تلك المهارات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستحضر إزاء مثل هذه الحالات قول الحق تبارك وتعالى: **(**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)**[1].

ولكل هذا ينطبق على ما يشار إليه أحيانًا على أنه التخمين الصائب والإلهام العلم والحكمة في القرآن الكريم.

ثابت في كثير من آي الذكر الحكيم اقتران العلم والعقل بالحكمة في مثل قوله تعالى: **(**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**)** [2]

(وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**)** [3].

(يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**)** [4].

وجاء ذكر الحكمة. منفردة في قوله تعالى: **(**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**)** [5].

وفي قوله جل شأنه **(**يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**)** [6].

يقول الراغب الأصفهاني: "الحكمة هي إصابة الحق بالعلم والعقل" وهي عند الفخر الرازي: "الإصابة في القول والعمل وإطلاق الحكمة منسوبة إلى الذات الإلهية يعني معرفة ما في السماوات والأرض وفضل خلقها في صورة محكمة هيأت لهما أداء وظائف معينة وحيث تنسب الحكمة للإنسان فإنها تعني معرفة الموجودات وفعل الخيرات واتساق الأفعال مع الأقوال.

وأحسب أن الحكمة المطلوبة في المعارف اليوم هي المعارف الكلية البينية أو المعارف الموجودة التي تشتق من أنظمة معرفة متعددة فتؤلف بينها في مفاهيم جامعة تغطي مساحات واسعة من الأنشطة ونظرية البنائية التي نتحدث عنها الليلة

---

[1] سورة البقرة: ٢٨٢.

[2] سورة آل عمران: ٤٨.

[3] سورة النساء: ١١٣.

[4] سورة آل عمران: ١٦٤.

[5] سورة لقمان: ١٢.

[6] سورة البقرة: ٢٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مثل جيد لهذه المعرفة التي ترتقي إلى مستوى الحكمة. المعارف التي تسمو إلى مستوى الحكمة هي المعارف التي تمثل خطوات جادة نحو ما نتحدث عنه على أنه "وحدة المعرفة" أو "كلية المعرفة" لما تمثله هذه المعارف الكلية من أهمية في حل المشكلات الحيوية وما تنتجه من اقتصاد في الوقت وفي الجهد المبذول في توليد المعارف وتوظيفها.

وأحسب أن الحكمة في النظام المعرفي الإسلامي هي المحتويات المعرفية والعمليات العرفانية التي من شأنها إبراز التكامل، أو التنوع في إطار "وحدة" الأنظمة المؤلفة للكون، جمع تنوع الأغلفة الكونية الماثل في الغلاف الصخري، والمائي، والبنائي، والحيواني، والجوي، والبشري –فإن الكون تجمعه وحدة شاملة، تتسم بالاستمرار، والتغير المتسق الذي لا يخل بتوازن سنن الله في الآفاق وفي الأنفس وصدق الله العظيم **(مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ)** [1].

(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [2].

وثمة بشائر في المجالات الأكاديمية تشير إلى تكامل المعارف على الرغم من تنوعها في مجالات كثيرة، لعل من أبرزها التوازي في الدراسات اللغوية وفي البيولوجيا الجزئية عن طريق استخدام مصطلحات واحدة في المجالين.

المعرفة حق طبيعي لكل إنسان:

ووسيلتها إعمال العقل واكتساب المعارف الضرورية للحياة في جوهرها المتعددة حق لجميع البشر يجب أن يسعوا لاستيفائه، وواجب على من يقومون على تربيتهم وتنشئتهم أن يتيحوا لهم فرص العرفان وعلى أولى الأمر أن يهيئوا الفرص الكافية للتعليم الذي يعتبر أساسيًا للمواطن كي يستنير بضوئه ويهتدي بثمراته في دروب حياته كافة؛ لينهض بأداء واجباته ومسئولياته أفضل أداء.

[1] سورة الملك: ٣.

[2] سورة لقمان: ١٠- ١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسبيل إلى اكتساب المعارف هو أن نستحث أبناءنا على التفكر والتفكير، فآيات الله المبثوثة في الآفاق وفي الأنفس إنما خلقت لتكون موضوعات للتفكير.

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [1].

(فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [2].

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) [3].

وبلغ تشديد القرآن الكريم في التحريض على التفكير إلى مستوى التفكير في أمر الوحي وإثبات النبوة، والتحقق من أمر محمد r.

(قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ)[4].

ويرى كثير من مفكري الإسلام أن المعرفة شرط ضروري فيمن يتولى أمر الناس، وقد وردت في هذا الصدد أحاديث صحيحة منها "تفقهوا قبل أن تسودوا" ٣١٧ الصباغ صحيح من قول عمر.

الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد إلى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم ١٢٦ الصباغ.

طلب العلم فريضة من كل مسلم ٦١٤ حسن وقيل صحيح [*].

غاية التعليم هي التعلم:

تتعالى الأصوات في المجتمعات المتقدمة والفقيرة على سواء معلنة عدم رضاها عما يحقق التعلم النظامي بوصفه المؤسسة المسئولة عن نقل وتناقل

---

[1] سورة الحشر: ٢١.

[2] سورة الأعراف: ١٧٦.

[3] سورة القرة: ٢١٩.

[4] سورة الأنعام: ٥٠.

[*] الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في هذه الدراسة تم التأكد من عزوها وصنفت كلها بأنها صحيحة، واعتمد في ذلك على تحقيق الدكتور محمود لطفي الصباغ لكتابه "مختصر المقاصد الخمسة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للزرقاني، من منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١ وفيه تم تحقيق ١٢٤١ حديثًا وقيل عقب ألفاظ الحديث: صحيح أو حسن أو ضعيف أو باطل أو لا أصل له. وقد حرصت في الاستشهاد على ما وصف بأنه حديث صحيح، وذكر موقعه في كتب الحديث المعتمدة في أسفل كل صفحة بالكتاب المحقق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معارفها لدى الأجيال الناشئة. والتعليم علم من علوم الأداء والممارسة ممحصة من جيل إلى جيل.

ويقول بعض الأعلام المرموقين في الفكر "التربونفسي" (أوكسن وبرونر) إن التربية في معظم جوانبها لا تزال –على النحو الذي بدأت فيه الجهود الأولية التي بذلت فيها- لا تزال سرًا غامضًا لم تكشف جوانبه بعد.

ويضيفان "إن المحاولات التي بذلك لتحديد المسار بين ما يستطيع المعلمون أن يعلموه أو ما ينبغي عليهم عمله: يدرسون، ويوجهون، ويراقبون، وينقدون وما يعمله الأطفال المتعلمون من: تفكير، وتذكر، وتعليم، وتعلم.

هذه المحاولات تجسم قصة طويلة ولكنها أقل من أن تكون مرضية[١].

ومظاهر عدم الرضا يمكن إجمالها في ضعف الكفاية الداخلية والكفاية الخارجية لنظم التعلم.

وأحسب أننا نخطئ–إلى حد كبير- في تحديد الهدف الأسمى للتعليم المدرسي، إذ يقال إنه نقل المعارف التي يعرفها المدرسون إلى من لا يعرفون (التلاميذ) ويبذل المعلمون جهودًا شاقة في ذلك ولنتأمل في هذا مصطلح النقل **Delivery** هكذا، وقد اعتبر تقرير ظهر منذ سنوات قليلة عن منظمة يونسكو تحت **Learning: The Treasure Luthri** التعلم ذلك الكنز المكنون لخطة حديث لرسول الإسلام في ثلاث كلمات "إنما العلم بالتعلم".

التعلم المنتج لحمته الحرية وسداته الجهد الذاتي:

إن التفكير في الإسلام هو عماد التعليم كما قلنا في الفقرة السابقة؛ فالتعليم المنتج هو التعلم القائم على الاختيار الحر، التعلم الطوعي الذي تحفز إليه حوافز داخلية، هذا حال التنزيل الحكيم في الحق تبارك وتعالى: **(**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**)** [٢].

[1] Handlair of Educator & Development Maldien, Mass.;: Blachkwell, 1998, P. 8.

[2] سورة البقرة: ٢٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله: (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ) [1].

ولذا فإن التعلم في النظام المعرفي الإسلامي يقوم على الاختيار الحر، وبذل الجهد، والسعي الشخصي الدءوب في توليد المعارف وتلقيها وتوظيفها (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى*وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى)[2]. فلا إكراه في الدين، ولا إكراه في العلم، ولا إكراه في التعلم.

أخلاقيات التعلم:

مما نعاني منه في اكتساب المعارف وتوليدها ونشرها عن طريق البحث العلمي عدم القدرة على تحديد مدى الثقة في مصادر المعرفة المختلفة التي يتم نشرها، وقد عني نظام المعرفة الإسلامي بلفت الانتباه إلى الأخلاق الأساسية التي يجب أن تتوفر في العاملين على المعرفة –بحثًا وتعلمًا وتعليمًا وتوظيفًا، ولذلك دعا الإسلام إلى ما يلي:

الخبرة:

أن يكون لدى الباحث خبرة في الموضوع الذي يتصدى للمشاركة فيه، تطبيقًا لقوله تعالى: (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) [3].

وألا يتحدث بدون إحاطة (بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ)[4].

التثبت:

ألا يعتمد في حديثه أو كتاباته إلا ما هو على يقين منه فلا يصدر حكمًا مبنيًا على الظن: فقد وجه القرآن اللوم إلى من يبنون أحكامهم على ظنون (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) [5].

---

[1] سورة الكهف: ٢٩.

[2] سورة النجم: ٣٩- ٤٠.

[3] الإسراء: ٣٦

[4] يونس: ٣٩

[5] يونس: ٣٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[1].

الأمانة:

أن يتصف الباحث بالأمانة ونقيضها الخيانة، والخيانة إخلال بما أؤتمن عليه الفرد من حق لله، أو حق للغير أو حق عام للمجتمع، وتأكيد الأمانة في الإسلام حاسم: **(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ)**[2].

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)[3].

(إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) [4].

مجانبة الهوى:

يؤكد النظام المعرفي في الإسلام ضرورة البعد عن الهوى في تأصيل المعارف، وتوليدها، أو الحوار حولها أو نشرها وإذاعتها.

إن الإسلام ينهى عن الهوى، ويعني به الشهوات التي تميل إليها النفس البشرية وتؤدي إلى مجانبة الحق، ومجافاة الصواب في الفكر أو في الفعل، وأكثر ما يستعمل الهوى في الميل وما ليس بحق كشهوة المال أو الجنس أو المراءاة لكسب مادي أو معنوي:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[5].

وفي هذا يقول ابن حزم: القائل لا يدرك الأشياء على حقائقها إلا إذا جرد نفسه من الأهواء كلها، ونظر في الآراء كلها نظرًا واحدًا مستويًا لا يميل إلى شيء منها.. والتجرد من الهوى شرط إلى دقة الأحكام ونزاهة الاستدلال.

---

[1] النمل: ٦٤

[2] البقرة: ٢٨٣

[3] الحج: ٣٨

[4] النساء: ١٠٧

[5] النساء: ١٣٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجنب النفاق والمراءاة:

ومن تمام الصدق والأمانة ومجانبة الهوى أن يزاول طلاب العلم وأساتذتهم النفاق ومراة السلطة إدارية كانت أو أكاديمية، فلا يثبتون ولا ينفون إلا ما قام عليه دليل.

فالعالم في كل المجالات ينبغي أن يسلم من نفوذ غيره أيًا كان، وفي تاريخنا الثقافي من أطلق عليهم مصطلح فقهاء السلطان في كل مجالات المعرفة، وترزية القوانين مصطلح شائع في الكتابات الصحفية اليوم، وهؤلاء هم علماء السوء الذين أفاض أبو حامد الغزالي في وصف سماتهم، وعرفها ما يلي(*).

"غنهم يخبرون السلطان بالرخص...، وما يوافق هواه ويسارعون إلى الفتيا، يطعن بعضهم في بعض؛ يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال، ويغضب أحدهم على جليسه إن جالس غيره، يتكلفون في طلب مرضاة السلاطين واستمالة قلوبهم وهم المتصنعون للخلق، المتشوقون للرئاسة.

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن النقيب/

شكرًا جزيلاً للأستاذ الدكتور أحمد المهدي على تلك الوجبة الدسمة المكثفة والمركزة، والتي حاول من خلالها أن ينسج بمهارة العقل المسلم بين مقولات البنائية الغربية ويشتق منها البنائية الإسلامية، التي تشكل منظومة معرفية مختلفة قد تتفق في روافدها مع الوظيفية الغير إسلامية في إنكارها الحقيقة المطلقة للسلوكية الجامدة، للحتميات الغير صحيحة، ولكنها تنسج من خلال ذلك منظورنا الإسلامي الذي يركز على صلتنا بالمعارف، وعلى صلتنا بموضوعات المعرفة ومصادرها وأيضًا كيف تكون معرفتنا صلبة تجمع بين الحس والعقل والوحي والثوابت كما أشار إليها، ومنظومتنا أيضًا في أصول الفقه وكيف تحبك تلك النظرية المعرفية ثم يختم ذلك بأن نظرتنا المعرفية لها آدابها في البحث، وفي

* أبو حامد الغزالي- إحياء جـ ١ الباب السادس ص ص ٨٣- ٩٨ طبعة دار الشروق- القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلم، ثم تحلق إلى أن تصل إلى الحكمة النظرية والحكمة العملية، ولعل ذلك من مميزات المنظومة المعرفية أو النظام المعرفي الإسلامي.

والآن نفتح المجال لبعض المداخلات وبعض الأسئلة والمناقشات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مداخلة المهندس خالد محمد أحمد/

أود أن أشكر أستاذنا وعالمنا الجليل على ما قدمه في عجالة لهذا الموضوع القيم جدًا. حضرتك ذكرت حديث لسيدنا رسول الله r "إن العلم بالتعلم"، وللنبي عليه الصلاة والسلام دعوة هي "الاستعاذة من علم لا ينفع" ومن هنا أظن أن الاثنين يكملوا الصورة "وأعوذ بك من علم لا ينفع"، وشكرًا لسيادتكم.

مداخلة الأستاذ عبد العظيم صبري عبد العظيم - مدرس مساعد بكلية التربية - جامعة حلوان/

حقيقة الأستاذ الدكتور أحمد المهدي ركز على بعض المفاهيم أولها هي المعرفة الإسلامية، ثم بعد ذلك خصائص المعرفة الإسلامية، وأنها ضد الحتمية ثم بعد ذلك التوظيف، وأنا أريد أن أربط بين المعرفة الإسلامية التي هي ضد الحتمية بجانب المقررات الدراسية المقررة على المدرس سواء في المدرسة أو في الجامعة، نجد أن المعرفة الإسلامية من خصائصها أنها ضد الحتمية، فكيف على سبيل المثال ندرس مقرر في علم النفس لنظرية فرويد من سنوات مضت وأعتقد أن نظرية فرويد موجودة من الخمسينات والستينات برغم ثبوت فشلها في بعض النقاط كنظرية الأنا والأنا الأعلى وما شابه ذلك ولكنها مع هذا لازالت تدرس لطلاب المدارس فكيف يمكن أن نطلق على المعرفة التي تقدم الآن لطلاب المدارس فيما يحقق خصائص المعرفة الإسلامية أنها ضد الحتمية، وشكرًا...

تعقيب الأستاذ الدكتور أحمد المهدي/

ما قلته لا ينفي أن تكون نظرية سلوكية أو حتمية سلوكية موضوعًا للتعلم، ولكن لا أركز عليها وأشير للمتعلم وجودها في ثقافات أخرى، وهي مثلاً مخالفة لما عندنا. وتدخل في تاريخ العلم وعلينا في مناهج التعليم كما قلت في أكثر من مناسبة أن نفرق بين العلم وفلسفة العلم وتاريخ العلم ثلاثة أشياء تتمايز ولا تتداخل، وشكرًا...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مداخلة/

بسم الله الرحمن الرحيم، نشكر الأستاذ الدكتور أحمد المهدي على ما أبداه لنا من علم جزاه الله خيرًا، أنني أريد أن استوضح بعض النقاط التي وردت في الحديث على أن النظرية الإسلامية أو المعرفة الإسلامية لا تقول بالحتمية، نحن نعرف أن البنائية الغربية تقول بالحتمية أي سقوط اليقين لا شيء له يقين وبالتالي كل شيء خاضع للبحث والتعديل، هل يتعارض القول بأن النظرية الإسلامية في المعرفة أو المعرفة الإسلامية لا تقول بالحتمية مع ما جاء في القرآن الكريم من معان تتعلق بوجود يقين علمي في المعرفة الإسلامية، الله عز وجل قسم المعرفة إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، وأيضًا قول الله عز وجل: **(**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)** [1]، فما مدى اتفاق القول بعدم الحتمية؟.

تعقيب الأستاذ الدكتور أحمد المهدي/

كل ما يتصل بالله سبحانه وتعالى أمور منتهية لا نستطيع أن نقول فيها أو نحكم عليها كما جاءت في الوحي نؤمن بها. لابد أن نفرق بين معرفة بشرية ومعارف إلهية، النصوص الدينية معارف إلهية لا ينطبق عليها المعايير التي يضعوها في القواعد والنحو. المقصود بالمعرفة الإسلامية هنا هو نتاج العقل المسلم في هذه المجالات. وشكرًا.

شكرًا لكم على هذا الاستماع وشكرًا لكم جميعًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[1] العنكبوت: ٢٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com